الحاجة إلى جسر عبور!

لما كان الإنسان قد جُبل من تراب، فوطني هو العالم بأسره وكل البشر إخوتي.. هذا المبدأ المثالي يتبنّاه عدد متزايد من مواطنينا.

لكي نتمكن من تشييد جسور تلاقٍ متينة، ينبغي لنا أن نجمع ضفّتي نهر وأن ننتمي إليهما بالتساوي. فضلاً عن ذلك، - وهذا ما ينطوي على أعلى درجة من الصعوبة - هناك «رسالة» لجسر العبور ذاك التي تتيح لكل معنيّ أو غير معنيّ أن يدوس عليه للانتقال إلى الجهة الثانية وليس الأمر مُريحا. في فن الصياغة نحتاج أحيانا إلى تذويب المعادن بعضها ببعض للحصول على عيار نريده من الذهب. والوسيلة هي النار. أما المجتمعات فبعضها أقرب إلى الانصهار - الذي ليس انصهارا بحصر المعنى - وبعضٌ فيه تمايز أشد بسبب من لون البشرة أو الجمال أو التاريخ أو اللغة..

الفروق طبيعية شرعية تكاملية ما لم تبلغ حدّ التنافر. التعدّد مصدر جمال وإبداع وإعمال فكر وإرادة. أما من الوجهة الدينية فالتسامح والمحبة هما جسر العبور إلى مزيد من التضامن والتناغم والازدهار. كل الشعوب عرفت الحرب الدينية، والحرب الدينية راقدة يركن إليها أمراء الحروب أحيانا كثيرة لأسباب غير دينية. العنف والإرهاب يربضان أبدا في طيّات الدين الذي يتأجّج في الطهر أو في البغضاء.

لا يقوم عيشنا المشترك الذي هو جسر عبور إلى الخلاص، على إيمان مشترك وبأولى حجة على دين واحد! ننعزل عن إيمان الآخر أو دينه ولا ننعزل عن الآخر بنفسه!

بات شعبنا ربما قبل «المسؤولين» يؤمن بضرورة مكافأة العمل بالعدل والمساواة ويتأمين الخبز والمعرفة والتلاقي الحر. معضلاته اليوم على الخصوص يتقدّمها علم الأولاد والسير والطبابة والكهرباء والوقود. فليع النافذون هذه الأمور البديهية بعيدا عمّا قد يَسكرهم ويوهمهم بمجد باطل. لا تهبط علينا النعمة الإلهية ما لم نَتُقْ إليها ونجاهد في سبيلها وصولا إلى التماس أثمارها.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه